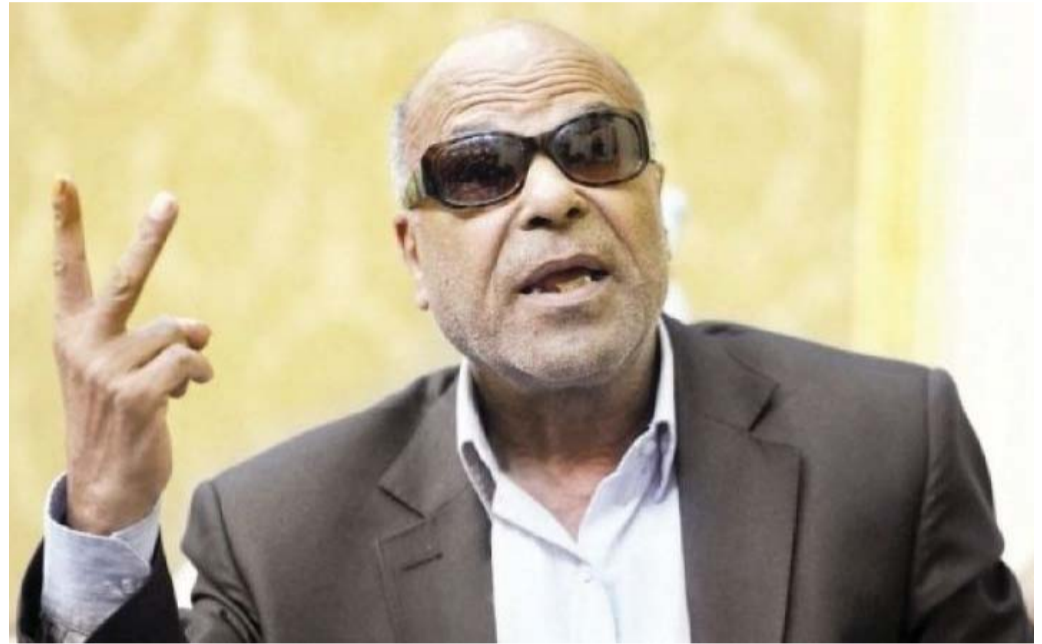


نائب الغلاية الذي كسر رحيله الحظر الصحي والأمني معًا

البدري فرغلي

سياسي مصري يُخرج الحكومات حيا وميتا



● الحكومة المصرية التي تفرض إجراءات لمواجهة فيروس كورونا ولدواع أمنية، لم تستطع في 15 فبراير الجاري أن تمنع تجمهرها من نوع خاص، اعتاد صاحبه أن يهتف طلبا للحقوق، لكنه كان صامتا محمولا على الإكتاف.

● اسم فرغلي يرتبط بأصحاب المعاشات، على اعتبارها آخر قضية تناولها وأنجزها، لكن ذلك لا يمحو أوعاما طويلة قضاهما كقائد يدافع عن العمال ضد مشروعات الخصخصة والتسريح من العمل وهدر الحقوق.

كتابة الشعر ثنائية، ليس كي لا يكرر تجربته مع المعتقل، فقد كانا من الحكمة ليعتقدا أن مثله سيكون ضيفا دائما فيه، لكن لأن ما كتبه "ليس شعرا". ومن كلماته التي اعتبرها شعرا "عرفيهم يا حبيبيتي مهما بينوا من قصور من عظام المحرومين/ مهما علوا مهما بينوا ألف سور/ مش هيعموا عيون ولا الحواري".

ولسخرية القدر أو اختباره له ولنضاله الفريد فقد الراحل بصره في عام 2011، إثر تناوله وجبة مسمومة، ولم تفلح محاولات استرداده، غير أن ذلك لا يأتي سوى كهامش في مسيرته، لأنه لم يترك معركة أي أثر في رحلته أو عطائه، فقد بدأ معركة المعاشات بعد ذلك الفقد، وظل يذهب ويجيء ويناضل دون بصر لكن ببصيرة. حرمة فقدان البصر فقط من اعتلاء الدراجة الشهيرة التي كانت وسيلة تنقله الرئيسية في مدينة بورسعيد، أما جلسسته فكانت في مقهى "سمارة" في شارع أوجيني بالمدينة، وأوصى بإقامة عزائه في هذا المقهى، حيث كان يجلس ليستقبل الناس وشكاويهم، حتى بعدما ترك البرلمان.

لا يفضل المسؤولون في مصر هذا النوع من النواب، ولذلك يقول الكاتب الصحافي مصطفى السعيد عن فرغلي "كان النجم المتألق في استجواباته للوزراء، والتي كانت ترجف الحزب الوطني والحكومة، لأنه كان سريع البديهة، يتمتع بخفة ظل مع شعور بقوة الحق، يعزها أنه نظيف الذمة، لا يسعنى لكسب شخصي ولا يساوم".

وروى الصحافي محمد الشحات موقفا لفرغلي حين كان نائبا مع وزير مجلس الشعب والشؤون النيابية، كمال الشاذلي، حيث وقف الأخير يرد على أحد استجواباته النيابية حول رئيس الوزراء، ولم يعجب فرغلي رده، فقال ساخرا "الحكومة أرسلت لنا وزير بلا حقيبة"، ويقصد مهام واضحة أو معلومات، فضحك النواب.

وبعد الجلسة ذهب الشاذلي إليه، وقال له وهو يضغط على حروفه "أنا يا بدري وزير بلا حقيبة"، وبخفة دم وسرعة بديهة رد "متعزلهش يا سيادة الوزير، أنا والنبة لله

أحسن حقيقة من بورسعيد. المرة اللي جايه". ولشدة ارتباطه بالقراء قال له أحد وزراء الإسكان "إنت غاوي فقر"، فأجاب فرغلي "لا تخطى بحق الفقر. هذا صديق ملازمي من ساعة ما تولدت لغاية دلوقتي". مع كل ذلك لم يفكر فرغلي في كتابة مذكراته، لأنه لم يعتبر نفسه سوى خادم للناس، فرفعه الناس على أكتافهم، وهزرت جنازته الصمت السياسي في بورسعيد، ومصر كلها.

للمساعدة في الإنفاق على أسرته. عمل في ميناء بورسعيد في مجال الشحن والتفريغ، أي في ظل بيئة مليئة بالحيوية والسياسة عقب العدوان الثلاثي على مصر، وشب ثوريا مؤمنا بحريتين؛ حرية أرضه من العدو وحرية الزملاء من الاستغلال.

عرف الرجل بلسانه الطليق والمناداة بالحقوق بين زملائه، وكان متحدشا باسمهم، حتى أنشأ معهم أول نقابة لعمال الشحن والتفريغ، وتولى منصب تقييدها أو رئيسها. وعقب إحدى نزواته التي هاجم فيها محافظ بورسعيد قالت له أمه مقولة ظلت ترد في أذنه طويلا "إذا تكلمت لا تسرق، وإذا سرت لا تتكلم".

فاختار من حكمة أمه شطرها الأول وتعهد بان يظل نظيف اليد ليكون طليق اللسان، وكانت وصيته لأسرته أن تسامح دائما، وكان دائما يقول لهم "سامحوا الناس، فقد سامحت خصومي قبل أصدقائي".

سجلات ساخنة

قضى فرغلي نحو خمسة أعوام ونصف العام من حياته قيد الاعتقال، ولم تكن على دفعة واحدة أو مدفوعة بقضية لها دلالتها وقرائنهما، بل كانت اعتقالات سياسية دون محاكمات، تدوم ما بين ستة إلى ثمانية أشهر، ثم يُفرج عنه، ويعود مجددا وهكذا.

روى عن تلك الأيام قائلاً "كانت أفضل أيام حياتي، كنا نجلس ونغني ونتناقش ونقرأ، أصحاب الرأي والفكر كلهم كانوا رفاقنا في السجن. لا يوجد سجين في مصر أو معتقل لم أدخله، فقد سجنحت 11 مرة".

ويخص فرغلي بالذكر سجن الزقازيق، في شمال القاهرة، الذي دخله من أجل أبيات من الشعر كتبها ثم قرأها على الشاعرين عبدالرحمن الأبودي وأحمد فؤاد نجم، لكنهما طلبا منه عدم

كتابة الشعر ثنائية، ليس كي لا يكرر تجربته مع المعتقل، فقد كانا من الحكمة ليعتقدا أن مثله سيكون ضيفا دائما فيه، لكن لأن ما كتبه "ليس شعرا". ومن كلماته التي اعتبرها شعرا "عرفيهم يا حبيبيتي مهما بينوا من قصور من عظام المحرومين/ مهما علوا مهما بينوا ألف سور/ مش هيعموا عيون ولا الحواري".

ولسخرية القدر أو اختباره له ولنضاله الفريد فقد الراحل بصره في عام 2011، إثر تناوله وجبة مسمومة، ولم تفلح محاولات استرداده، غير أن ذلك لا يأتي سوى كهامش في مسيرته، لأنه لم يترك معركة أي أثر في رحلته أو عطائه، فقد بدأ معركة المعاشات بعد ذلك الفقد، وظل يذهب ويجيء ويناضل دون بصر لكن ببصيرة. حرمة فقدان البصر فقط من اعتلاء الدراجة الشهيرة التي كانت وسيلة تنقله الرئيسية في مدينة بورسعيد، أما جلسسته فكانت في مقهى "سمارة" في شارع أوجيني بالمدينة، وأوصى بإقامة عزائه في هذا المقهى، حيث كان يجلس ليستقبل الناس وشكاويهم، حتى بعدما ترك البرلمان.

سجلات ساخنة

قضى فرغلي نحو خمسة أعوام ونصف العام من حياته قيد الاعتقال، ولم تكن على دفعة واحدة أو مدفوعة بقضية لها دلالتها وقرائنهما، بل كانت اعتقالات سياسية دون محاكمات، تدوم ما بين ستة إلى ثمانية أشهر، ثم يُفرج عنه، ويعود مجددا وهكذا.

روى عن تلك الأيام قائلاً "كانت أفضل أيام حياتي، كنا نجلس ونغني ونتناقش ونقرأ، أصحاب الرأي والفكر كلهم كانوا رفاقنا في السجن. لا يوجد سجين في مصر أو معتقل لم أدخله، فقد سجنحت 11 مرة".

ويخص فرغلي بالذكر سجن الزقازيق، في شمال القاهرة، الذي دخله من أجل أبيات من الشعر كتبها ثم قرأها على الشاعرين عبدالرحمن الأبودي وأحمد فؤاد نجم، لكنهما طلبا منه عدم



مكانة فرغلي ليست مستندة لاستجوابات ارتكب لها الوزراء في حكومات ما بين عام 1990 وحتى عام 2012 في مصر، حيث كانت نهاية عهده بالبرلمان، بل كسب موقعه عند الناس بمسيرة لم تشهد تحولات فجائية أو خطوط صعود وهبوط، بل ميزها الثبات

كتب له العمال وثيقة بالدم كشكر له، لافتا إلى أن تلك الوثيقة ما زالت الأسرة تحتفظ بها في مكتبته.

أما بخصوص معركة المعاش فيفضل فرغلي حصول المتقاعدون على معاش يماثل الحد الأدنى للأجور ويقدر بـ1200 جنيه، بعدما كان لا يتجاوز لدى الكثيرين نصف ذلك المبلغ، عقب صولات وجولات مع الحكومة في قاعات المحاكم.

قبل يومين فقط من وفاة فرغلي كان قائما للتو من عملية جراحية في قدمه، مكث على إثرها يوماً في قسم العناية المركزة، وأصر صبيحته على أن يسافر إلى القاهرة لحضور إحدى جلسات "العلوات الخمس". حاول القريبين منعه من الذهاب، لكنه رفض، وأثار حضوره تعجب القاضي نفسه، وسأله لِمَ حضرت وأنت في تلك الحالة؟ فرد "جئت خوفا من الحق (الله) على حق الغلاية".

كان ذكر الله حاضرا دائما في أحاديثه وجلساته، وحين سئل متى تكف عن النضال؟ قال "من المهد إلى اللحد، أو مال أروح هنالك أقوله إيه، أنا بخاف قوي من ربنا (فماذا ساقول له هناك في الدار الآخرة؟ أنا أخاف من ربنا خوفا شديدا)".

صاغ فرغلي نموذجا فريدا من المناضل اليساري، فقد كان عضوا في منظمة الشباب الاشتراكي وهو في سن السابعة عشرة، وانخرط في السياسة من نافذة حزب التجمع الممثل للييسار المصري رسميا في ذلك الوقت، والذي يفضل الفصل بين الدين والسياسة، بل ويعضه يرى في الدين مادة للإلهاء والتسكين، لكن فرغلي لم يستغن عن حسه الديني أو تدينه الشعبي، فكان نموذجا أقرب ما يكون إلى رجل الشارع وليس إلى سياسيين يحتاج الرجل العادي إلى معاجم لفك ما استغلق من أحاديثهم.

ويواصل ابنه الأكبر الحديث عن معارك والده السياسية قائلاً "سألته في إحدى معاركنا السياسية وكانت معركة قاسية جدا خلال انتخابات مجلس الشعب عام 2005، لماذا كل هذا القتال من أجل مصالح

الناس؟ لماذا نموت من التعب؟ فأجاب: هل تعرف من يمر من على الصراط أسرع من النبين والشهداء؟ فابتسمت وقلت: من؟ فأجاب: القائمون على حوائج الناس".

كانت العائلة في حياة فرغلي هي المنهل الأول للتأثير والتأثر، فقد ولد لعائلة كبيرة مكونة من ستة أشقاء آخرين. كُتب عليه العمل منذ صغره، وحصل على الشهادة الابتدائية فقط، ثم شرع في العمل

النهاية في معاشة تلك الحقوق، سواء أكانت حاضرة أو مهدورة.

في الحوار العميق الذي جلس البدري متحدشا فيه عن نفسه مع الإعلامي محمود سعد في برنامج "باب الخلق" قبل عامين سألته سعد عن سر انجازه إلى الناس، وكان يقصد الفقراء منهم، فأعترضه الرجل وأجاب بتلقائية شديدة "أنا لست منحاذا إلى الناس، أنا واحد منهم".

ولأنه "واحد منهم" -أي الناس، وتحديدا أبناء محافظته بورسعيد في شمال شرق القاهرة- كان البرلماني الوحيد تقريبا الذي لم ينفق جنيها واحدا على الانتخابات أو الدعاية، ومثل المحافظة في 4 دورات برلمانية، وكان انتخابه ودعمه ودفعه إلى المشاركة عملا أهليا خالصا ومشروعا لأبناء المدينة "الباسلة"، وهو اللقب الذي عُرفت به مدينة بورسعيد التي أظهرت بسالة نادرة في مقاومة العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي عليها عام 1956.

قال فرغلي ببساطته المعهودة "لم ادفع جنيها واحدا، كان الناس يكتبون لي في الصحف والبلوكونات والشوارع"، مشيرا إلى أنهم كانوا يدعونه للترشح.

لم تقدم بورسعيد فقط مسيرة كفاح فريدة في وجه العدوان الثلاثي أو في حروبها العديدة -من هزيمة 1967 إلى حروب الاستنزاف، وحتى النصر في حرب أكتوبر- 1973 بل واصل شعبيها العطاء بشروع جديد صعب داخل الميناء الشهير التابع لها على البحر المتوسط، حيث عمل البدري فرغلي طفلا ومراهقا وشابا في أعمال الشحن والتفريغ في هذا الميناء، حتى وصوله إلى البرلمان.

حمل مشروع تحويل هذه المدينة إلى سوق حرة، في ما يسمى "عصر الانفتاح" الذي أعلنه الرئيس الراحل أنور السادات منتصف السبعينات من القرن الماضي، عناء للعمال والطبقات الفقيرة والمهمشة، وجعلها عنوانا للمعارضة داخل البرلمان بصوت البدري فرغلي، أو نائب بورسعيد، الذي حقق مكاسب نوعية للملايين من أصحاب المعاشات والمتقاعدين.

لم يكن محل عجب أن تخرج الجموع الغفيرة في وداع فرغلي لمناواه الأخير؛ فهي لم تودع شخصا عاديا، بل أعلنت عن قوتها وقدرتها على تقديم نماذج أخرى مثل فرغلي، وبذلك كانت أولى بحمانيته وصونه وتقدير سيرته ومحاكاتها.

صديق البساطة

يرتبط اسم فرغلي بأصحاب المعاشات، على اعتبارها آخر قضية تناولها وأنجزها، لكن ذلك لا يمحو أوعاما طويلة قضاهما كقائد يدافع عن العمال ضد مشروعات الخصخصة والتسريح من العمل وهدر الحقوق.

يقول ابنه ياسر فرغلي لـ"العرب" إن والده حين عجز عن التصدي للخصخصة وبيع القطاع العام بكى حزنا على ضياع أملاك الشعب، وعندما واجه بيع مجمع الألومنيوم في نجع حمادي بجنوب مصر

رحاب علوية
كاتبة مصرية

عاش النائب البرلماني المصري السابق البدري فرغلي حياة دراماتيكية بامتياز، تمثل ثروة لكتاب السيناريو ومحبي السير والباحثين عن الحقوق. غير أن تتبع سطورها ليس سهلا منظوما، بل متفرقا بين كثرة الدروب والحقوق والمريدين والمنصورين على يديه، شحيحة في الرواية عن نفسها، ومشغولة دائما بالحديث عن الناس.

في الوقت الذي تفرض فيه الحكومة المصرية إجراءات لمنع التجمهر، لمواجهة فيروس كورونا ولدواع أمنية، لم تستطع في 15 فبراير الجاري أن تمنع تجمهرها من نوع خاص، اعتاد صاحبه أن يهتف طلبا للحقوق، لكنه كان صامتا محمولا على الإكتاف إلى نواهد الأخير، في مشهد مهيب يليق بصاحبه الملقب بنائب الغلاية ونصير العمال والمتقاعدين في مصر.

مرشح دون إرادته

اعتاد فرغلي الذي رحل عن عمر يناهز 74 عاما أن يُخرج الحكومات المتعاقبة، فقد كان النائب البرلماني الأشهر شعبيا لكثرة استجواباته للوزراء والمسؤولين في البرلمان، حتى سقطت في الوجدان الشعبي وزنا خاصة له ومكانة لم يبلغها غيره.



فرغلي يقدم نموذجا فريدا من المناضل اليساري الذي يفضل الفصل بين الدين والسياسة، لكنه لم يستغن عن تدينه الشعبي، وكان أقرب ما يكون إلى رجل الشارع وليس إلى سياسيين يحتاج الرجل العادي إلى معاجم لفهم أحاديثهم

مكانة البدري ليست مستندة لاستجوابات ارتكب لها الوزراء في حكومات ما بين عام 1990 وحتى عام 2012 في مصر، حيث كانت نهاية عهده بالبرلمان، بل كسب مكانته تلك بمسيرة حافلة حافظت على ديمومتها لاحقا، ولم تشهد تحولات فجائية أو خطوط صعود وهبوط، بل ميزها الثبات.

على خلاف عادة السير المعروفة بكثرة التعرجات وجذب الانتظار بتحولاتها كان البدري من بينها خطأ مستقيما، فلم ينحن لسلطان أو يصعد لجاه، ولم يتخل عن هيئته البسيطة العاكسة لبيئة فقيرة نشأ فيها ورفض أن يترفع عنها بدعوى المطالبة بحقوقها، بل انغمس حتى